

الإثنيات والعيش المشترك في السياق الغربي:

مقاربة سوسيو تاريخية

السعيد رشيدى¹، كريمة فلاحى²

جامعة محمد لين دباغين سطيف², saidrechidi@yahoo.fr¹

جامعة محمد لين دباغين سطيف², karimafellahi@yahoo.fr²

تاريخ الإرسال: 2018/12 /15 ؛ تاريخ القبول: 2019/03/11

Ethnicity and co-existence in the Western context Socio-historical approach

Abstract:

The purpose of this research paper is to try to highlight the historical process of the manifestations of the relationship between ethnic diversity and co-existence in the Western context and its impact on the challenges of co-existence, where different forms of coexistence have varied and varied according to the prevailing view of the ethnic idea and its uses through the crisis and different places.

She concluded that what governs the history of the idea of ethnicity and co-existence in the Western context is the same principle of human change in space and time, which is the same, which is different and flourishes today. Ethnicity and co-existence have known different aspects and transformations, but in general they have been linked to one another, the other to social stigmatization, the other to be co-

existing in one form or another, albeit negative and questioning in its entirety and throughout its historical course. And has recently sought to shift towards recognition and participation.

Keywords: ethnicity, ethnic diversity, co-existence, Western context, community participation.

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى محاولة إبراز السيرورة التاريخية لتجليات العلاقة بين التنوع الإثني والعيش المشترك في السياق الغربي وأثره على تحديات العيش المشترك، حيث تعددت وتباينت صيغ العيش المشترك تبعاً للنظرة الرائجة عن الفكرة الإثنية واستخداماتها عبر الأزمنة والأمكنة المختلفة، وتبعاً للوصم الاجتماعي الذي لحقها.

وخلصت إلى أن ما يحكم تاريخ الفكرة الإثنية والعيش المشترك في السياق الغربي هو نفسه مبدأ تغير الإنسان في المكان والزمان، وهو نفسه الذي يتنوع ويزدهر اليوم. فالإثنيات والعيش المشترك عرفت مناح وتحولات مختلفة، ولكن في المجمل ارتبطت في مدلولها بالنظرة إلى الآخر، الآخر الذي وصم اجتماعياً، الآخر الذي وجب التعايش معه بشكل أو بآخر، وإن كانت اتسمت بالسلبية والتشكيك في مجملها، وعبر كل مسارها التاريخي. وإن سعت في الآونة الأخيرة إلى التحول نحو الاعتراف والمشاركة.

الكلمات المفتاحية: الإثنية؛ التنوع الإثني؛ العيش المشترك؛ السياق الغربي؛ المشاركة المجتمعية.

مقدمة:

من المسلم به اليوم، أن العيش المشترك لم يعد مفهوماً تجريدياً، ونظرياً، في معظم دول العالم، بل صار ضرورة، بالنظر التحديات التي تشهدها المجتمعات المعاصرة، ولكون العيش المشترك هذا ينهض على فعل جماعي محكوماً بمنطق الحاجة والضرورة، وعلى تدبير وتكييف واقع التنوع والاختلاف المجتمعي، أخذاً في الاعتبار منطلق الإرادة الدولية للمجتمع الإنساني، مع ما قد يعتري هذه الإرادة من خضوع لمنطق موازين القوة التاريخية الفعلية، ولمنطق الازدواجية والكيل بمكيالين، وعلى قبول وتمثل واعتراف بوجود الآخر وإقرار بكينوته... ومن ثم فإن المجتمعات الإنسانية في الوقت الراهن تشهد اصطفاقات إثنية، تؤثر في مجمل علاقاتها.

وعلى الرغم من أن التنوع الإثني ظاهرة كونية عهدتها المجتمعات الإنسانية قاطبة المتقدمة منها والمتخلفة على مر الأزمنة، وهو المعطى الذي عملت العولمة ومختلف الضغوطات التي تمارسها الديناميات المتصلة بتنامي الهجرة والانفجار الديمغرافي على تكثيفه وتسريع وتيرته، بحيث أن الإثنيات باتت تراهن على إرساء شكل للاندماج السياسي والاجتماعي، بما يسمح بتغطية مساحة واسعة من السياسات التي

تستهدف توفير مستوى معين من الاعتراف العام، وإن كان يختلف عن النموذج الذي أرسيت على أساسه الدولة الوطنية.

ومن هذا المنطلق أخذت الإثنيات أبعاداً جديدة في ظل التطورات الداخلية والإقليمية والدولية التي طرأت في الآونة الأخيرة؛ التي أحدثت تعقداً في نسق المجتمعات وتكوينها، إذ أصبح من الضروري الاعتراف بالاختلافات الثقافية والمجتمعية بين الدول من جهة، والإقرار أن إستيعاب هذه الخلافات يحول دون وقوع المشاكل السياسية من جهة أخرى. ويرجع تجدد الحديث عن التنوعات الإثنية وآثارها على العيش المشترك إلى السياسات العالمية التي عرفت المرحلة الراهنة، والحاجة إلى إعادة ترتيب الأوضاع العالمية على النحو الذي يخدم المصالح العالمية.

ففي عالم معولم، أصبح التجريد السياسي المعروف باسم الأمم غير ذي صلة على نحو متزايد، في حين أن النظم الرمزية المعروفة باسم الثقافة تتدهور باستمرار، وأصبح هناك فجوة متنامية بين الفضاء حيث يتم تحديد القضايا (العالمية) والفضاء حيث تدار القضايا (الدولة القومية). وبشكل متزايد، كانت الجماعات الإثنية تطالب بالاعتراف بما تعتبره حقوقاً تاريخية للأراضي والسلطة، وغالباً على حساب جيرانها، وعلى ذلك فإن الطريقة التي تتفاعل بها الدول مع تنامي التنوع أمر هام وحيوي في رسم سياساتها الداخلية من جهة وعلاقاتها مع غيرها من جيرانها من جهة ثانية.

ومن ثم أخذ الاهتمام بالإثنيات يحظى بأهمية خاصة من قبل العديد من الباحثين والدارسين، نظرا للحساسية الفائقة، في ظل ما طرحه التنوع الإثني من صراعات ونزاعات داخلية وخارجية شهدتها المجتمعات المتخلفة على مستوى دول العالم، ومن تحديات لأنماط إدارة التنوعات كما ينجم عنها من قبول ورفض في هذه المجتمعات. ومن هذا المنطلق تأتي أهمية الموضوع في وقتها، وتنطلق من أهمية العيش المشترك في ذاته أولا، ولارتباطه بالواقع الإنساني المعيش ثانيا. فالأمور المشتركة والتي تجمع بين الأفراد، أكثر وأهم بكثير من الأمور التي يختلف فيها.

ولهذا سنحاول من خلال هذه الدراسة إبراز تجليات العلاقة بين التنوعات الإثنية من جهة والعيش المشترك من جهة ثانية، مع التأكيد على السيرورة التاريخية والوصم الاجتماعي الذي طبع كل مرحلة.

تحديد مفاهيم الدراسة ومرادفاتها:

قليلة هي المفاهيم السوسولوجية التي تحظى باتفاق الباحثين، بل إن الكثير منها لا يحضأ بهذا الاتفاق، ومنها مفهوم الإثنية، فالإثنية مصطلح يدل على الأفراد الذين يعتبرون أنفسهم، أو يعتبرهم الآخرون، مشتركين في بعض السمات والخصائص التي تميزهم عن التجمعات الأخرى في مجتمع يستطيعون في إطاره تطوير سلوكهم الثقافي الخاص (جوردون مارشال، 2007: 82)، وذلك باعتبارها «جماعة بشرية يشترك أفرادها في العادات، التقاليد، اللغة، الدين وأي سمات أخرى بما فيها الملامح الفيزيائية للمجتمع والدولة مع جماعات أخرى (Cynthia H.

Enloe, 1986: 15-29)، وتشير الإثنية كذلك «إلى ذلك الاختلاف الناتج عبر التفاعل الاجتماعي بين جماعات من الناس لها أصل واحد ومعان ثقافية وذكريات جمعية مشتركة» (إيان لوي، 2015: 183)، ولذلك فالإثنية بصفتها شكلا خاصا من التماثل، لم تكن موجودة دائما، بل يتم أولا صنعها أو اختراعها (هارالد موللر، 2005: 107)، ومن ثم فإن الهويات الإثنية ديناميكية سواء من حيث طبيعتها أو خصائصها، (Sven Gunnar Simonsen, 2005: 297)، كما أنها مبنية اجتماعياً. (Mona Chettri, 2014: 205)، ونخلص إلى أن الإثنية إذا هي ظاهرة اجتماعية خالصة يجري إنتاجها وإعادة إنتاجها على مر الزمن (أنتوني جيدنز، 2005: 312).

والملاحظ في هذا الإطار أن الإثنية قد استعملت بمعاني عدة ومنها الأمة كما هو الحال في اليونانية القديمة والتي تعني عند اليونان «جماعة بشرية ذات الأصل الواحد» (أحمد وهبان، 1999: 79)، كما استخدمت الإثنية بدل العرقية والقومية «لعدم شمولية وكفاية الألفاظ التي جرى استبدالها، وفي الرغبة بتجنب تكريس فكرة أخذ العالم المعاصر برفضها ألا وهي وجود أعراق وأجناس مختلفة عن بعضها البعض، فالعلم الحديث لا يقر بالفوارق بين الأعراق ويؤكد فكرة وحدة الكائن البشري ووحدة العنصر الإنساني» (محمد يوسف لعلوان، 2007: 461)، كما وظفت بدل لفظة الأقليات على اعتبار أن «الإثنية تشتمل على مجمل الصفات التي تتسم بها الأقليات المعترف بها في القانون

الدولي، فالخصائص المميزة للأقليات كلها (كاللغة، الدين، العرق، الأصل القومي... الخ) تدخل في نطاق المفهوم العام للفظ الإثنية» (محمد خليل الموسى، 2000: 43).

الإثنية بين المحلية والعالمية:

إننا نعيش في عصر النزعة الإثنية، ولكنه عصر يبدد الكثير من طاقاته في إنكار وجودها، فعلى الرغم من أن مفهوم الإثنية حديث الاستعمال في العلوم الاجتماعية، رغم استعماله في علوم دراسة البشرية، إلا أنه شاع استخدامه في الآونة الأخيرة بين السياسيين وعلماء الاجتماع والعامة، وقد تم صياغة مصطلح الإثنية» تمييزاً له عن مصطلح العنصر (أو العرق)، لأنه على الرغم من احتمال تحديد هوية الجماعة الإثنية على أساس السمات والخصائص العنصرية، فإن أعضاء هذه الجماعة الإثنية يشتركون فضلاً عن ذلك في بعض الخصائص الثقافية الأخرى كالدين، والمهنة، واللغة، أو حتى الممارسة السياسية. كما ينبغي تمييز الجماعات السلالية عن الطبقات الاجتماعية، على أساس أن عضوية الجماعة السلالية قد تتقاطع مع التدرج الاقتصادي الاجتماعي داخل المجتمع، حيث تستوعب مثل هذه الجماعة الأفراد الذين يشتركون (أو يعتقد أنهم يشتركون) في بعض الخصائص التي تجب الطبقة وتحل محلها» (جوردون مارشال، 2007: 82).

ويعتبر فريديريك بارث Frederic Barth من أوائل المساهمين في بلورة مفهوم ديناميكي للإثنية، فالإثنية بنظره لا تعبر عن مجموعات

جامدة وثابتة بل هي تجمعات بشرية غير ثابتة، أعضاؤها يتغيرون (على المدى الزمني البعيد)، وذلك لأن عضويتها وحدودها مرتبطة بالتغيرات التي تطرأ على الأوضاع الاجتماعية. وأكد بارث أن الهوية الإثنية تولد وتؤكد وتنتقل في نطاق التفاعل والتعامل بين صناع القرار والفرد (Fredrik Barth, 1969: 9-11).

فالعالم في الوقت الحاضر بمختلف شعوبه وجماعاته البشرية «أصبح وحدة متكاملة في مصالحه العامة وفي تبادل الخبرات بين أجزائه المتباعدة، غير أننا في الوقت نفسه نشعر بالفوارق الكبيرة بين تلك الشعوب والجماعات سواء في نمط معيشتها أو في عاداتها وتقاليدها ونزعاتها السياسية أو في مواردها وخبراتها ومستوياتهم الحضارية» (James Ryan, 1999: 10) ويذهب معظم المفكرين إلى أن عودة الظاهرة الإثنية وتفاقمها يعود إلى عاملين أساسيين «هما العامل السياسي - الاجتماعي الذي نشط عقب نشر الدول الغربية لأيديولوجية حقوق الإنسان في كل دول العالم وخاصة إفريقيا في بداية الثمانينيات، والعامل الاقتصادي الذي صاحب توجهات مؤسسات بريتن وودز، مع التأكيد على أهمية هذين العاملين باعتبارهما من أهم عناصر آليات التمهيد لخلق الانتظام الدولي الجديد، بإعادة تشكيل الهياكل المحلية تمهيدا لدمجها في المنظومة الدولية الجديدة، وتعزيز دور الفواعل غير الدولاتية» (هشام محمود الأقداحي، 2011: 25).

وعلى العموم، هناك مقاربتان للإثنية، «الأولى تنظر إليها كما هي مرتبطة بخصائص جسدية أو عقلية ثقافية ثابتة تميز كل جماعة بشرية. أما المقاربة الثانية فهي مقاربة علائقية. المقاربة الأولى تفترض أن وجود الاختلاف نفسه هو مصدر نزاعات لا مهرب منها، وأنه هو الأصل في الاختلافات الثقافية والسياسية والاجتماعية. بل إن فكرة ربط القدرات والمهارات وأنماط التفكير نفسها بالإرث البيولوجي وحجم الجمجمة هي التي سيطرت على علم الإنسان في القرن التاسع عشر، وأدت إلى انبثاق النظريات العنصرية والعرقية. ولا تعني المقاربة العلائقية أن التمايز غير موجود أو أنه شكلي، فالتعددية الثقافية والدينية والمورفولوجية كما ذكرت موجودة لا يمكن إنكارها، إنما تعني أن التمايز الثقافي أو القومي بين الجماعات لا يشكل مصدر توتر أو نزاع بحد ذاته» (برهان غليون، 2012).

وأخذاً بالمقاربة العلائقية فإن التأريخ لفكرة الإثنية والعيش المشترك، هو في حد ذاته تأريخ لمبدأ تغير الإنسان في المكان والزمان، وهذه هي المقاربة الضرورية لهذا المبدأ الذي يتنوع ويزدهر، اليوم، في تعريف أقرب للفهم، ومما تجدر الإشارة إليه هنا كذلك أن الوصم الاجتماعي هذا قد اختصت به أكثر، الفئات الاجتماعية التي تمتلك السلطة أو الواجهة، في حين نجد أن الغالب هو اللامبالاة تارة والتسامح تارة أخرى من قبل

الفئات الأخرى في المجتمع. وهذا ما سنحاول أن نضع له تخطيطاً أولياً. من خلال جمع مجموعات من الشواهد والدلائل على ذلك.

الإثنيات والعيش المشترك في العصور القديمة:

منذ البداية يجب الإشارة إلى التعارض غير القابل للتصالح أو العيش المشترك بين الإثنيات في العالم القديم، وحيث الحكم الإمبراطوري، الذي يضم أقاليم عديدة وشاسعة، تختلف في العرق والدين واللغة والهوية والعادات والتقاليد، ويجري حكم هذه البلاد المتباعدة والمترامية الأطراف بالقوة والجبروت والسيطرة المطلقة، مع وجود التفرقة الظاهرة بين شعوب هذه الأقاليم وشعوب الدولة الأم في النظم والحقوق والواجبات، ولهذا سنشير أولاً إلى الإثنيات والعيش المشترك عند اليونانيين ثم عند الرومان.

الإثنيات والعيش المشترك عند اليونانيين:

فإذا جئنا إلى الإثنية عند اليونان قديماً نجد أنها تشير إلى جماعة تشترك في سمات ثقافية أو بيولوجية (إيان لوو، 2015: 183) بوصفها (انظر التعليق رقم 1) الفرد فيها بالوثنى، أو الهمجي غير المتمدن (محمد عاشور مهدي، 2002: 26) وهي في مجملها تشير إلى أصل الشعوب الذين لم يتبنوا النظام السياسي والاجتماعي لدولة المدينة (François Gaulme, 1997: 121-124). ومن ثم فمما لا شك فيه أن هذا يظهر بأن مفاهيم التفوق البيولوجي بدأت مع الثقافة الهيلينية التي رأت

في الآخرين برابرة، ... واستمر تصنيف الناس وفقا للونهم في كل من الحضارتين الرومانية واليونانية القديمة، حيث ارتبط التحيز للون الأبيض بالقيم الايجابية، بينما اقترن اللون الأسود بالموت والجحيم، بل إن القرن الأول الميلادي شهد تصنيف البشر لدى عدد من الفلاسفة إلى أجناس راقية وأجناس بشعة (إيان لوو، 2015: 10). ومع ذلك فالملاحظ بأنه ليس هناك ارتباط بين الصفات الوراثية البيولوجية والقدرات الذكائية، أو المزايا الحضارية للأجناس البشرية، إلا أن الاختلافات الظاهرية في المظهر الطبيعي والبيولوجي للأفراد أو العناصر، قد تؤدي في ظروف معينة إلى ظهور الوعي الذي يدفع إلى الاعتقاد بمبدأ الجيد والعنصر الرديء (حيدر إبراهيم علي وميلاد حنا، 2002: 28.29).

الإثنيات والعيش المشترك عند الرومان:

وبالعودة إلى الإثنية عند الرومان فإننا نجد جون جاك روسو في معرض حديثه عن شروط العيش معا إلى أنه لم يستحسن الاستفتاءات المماثلة لما قام به الرومان، حيث كان رؤساء الدولة ومن هم أحرص الناس على بقائها ممنوعين من المباحثات التي تتوقف عليها سلامتها في الغالب، وحيث كان الحكام محرومين، عن تناقض محال، ما يتمتع به أحقر المواطنين من حقوق (جان جاك روسو، 2013: 15) فالرومان كانوا يحتكرون «السيادة والشرف» للجنس الروماني، ويرون في كل الآخرين والأغيار «برابرة» لا يستحقون حتى أن يطبق عليهم القانون الروماني (محمد عمارة، 2003: 11)

وهكذا كانت العصور القديمة تخط كل ما لا يشترك مع الثقافة اليونانية (ومن بعد الثقافة اليونانية - الرومانية) تحت اسم البربري، وفيما بعد استعملت الحضارة الغربية تعبير متوحش في المعنى ذاته (كلود ليفي شتراوس، 2008: 13).

الإثنيات والعيش المشترك في العصور الوسطى:

إن فكرة القرون الوسطى (751-1258م)، التي تتميز بازديادها الاختبار، والفاشية في تولي شؤون الدولة، والأوضاع الدينية التي لا ترحم معارضا، لا تفتح قطعا على الإنسانية المتحدة النزعات والعقائد. إنها، على العكس، استقبلت مختارة القصص الوثني والأساطير. وبما أنها كانت مثقلة بنوع من المبادئ الأساسية غير الخاضعة للتحقيق، وبآخر من الأفكار المسبقة، لم تنتفع بالإمكانات الحقيقية التي يفتحها لها التماس المتعاقد والعوالم غير الأوروبية (جان بواريه، 1974: 11.12) وفي الحقيقة فإن فكرة القرون الوسطى تدور حول الفكرة القائمة: في جعل العالم البشري يتحرك ضمن حدود المسيحية والشعوب التي تعرفها، كاليهود وخاصة المسلمين، وفي الإلحاق بعالم الحيوان كل الأنسال الخارجية (جان بواريه، 1974: 12).

وفي هذا الإطار فقد استخدم مصطلح الإثنية في العصور الوسطى بصفة المفرد للدلالة على الشخص «الهمجي غير المتمدن» (محمد عاشور مهدي، 2002: 26). كما استخدمت بصفة الجمع للإشارة إلي الأفراد المهمشين أو المكروهين (Alexander J-C, 1980: 5-28)، والذين هم

من «ليسوا مسيحيين أو يهود» (سعد الدين إبراهيم، 1992: 72). إذا فعبارة الإثنية آنذاك كانت تعني كل جماعة يدين أفرادها بدين غير المسيحية أو اليهودية (Anthony D smith, 1995: 39)، والمقصود هنا كل من يدين بدين الإسلام، «وما يؤشر إلى ذلك هو أنه في العام 1492م، وهو العام الذي ميز بداية السيطرة الجيوسياسية الأوروبية الأكيدة، وكان ذلك العام هو نفسه العام الذي بدأ فيه الإسبان طرد المور (moor) كما أسموهم، والتي تعني البرابرة المسلمين ومعهم اليهود نهائيا من الأندلس في إسبانيا» (توماس هيلاند اريكسون، 2012: 317). إذن فالموضوع الرئيسي في أوروبا المسيحية وقتئذ «كان معارضة المسلمين والتحقيق من شأنهم وتصويرهم كبرابرة شياطين» (إيان لوو، 2015: 11).

الإثنيات والعيش المشترك في عصر النهضة:

إن انفتاح العالم الغربي على ما خلف البحار بفعل الرحلات الاستكشافية بداية، قد أكتسبه أبعادا عالمية، نظير اكتشافه للآخر غير الأوروبي، ومع ذلك فبقدر ما كانت العصور الوسطى «قليلة الاستعداد للانفتاح على الإنسان «المتخلف»، أبدت النهضة أنها سابقة التهيؤ لهذا الانفتاح. لأن «الاكتشافات الكبيرة» والأسفار انتهت إلى تمازج المجتمعات التي كانت في ما سبق، غير مشكوك في عرقيتها - إثنتها -... ولكن هذه الأفكار المقبولة أصيبت بهزة إذ أن بعض المفاهيم القديمة أعيد النظر فيها. فأصبح دمج الشعوب الجديدة في نطاق الهيكل

الكلاسيكي، الوافدين عليه، أمرا تزداد صعوبته، يوما بعد يوم» (جان بواريه، 1974: 14). وخاصة مع سياق الهيمنة الأوروبية الاقتصادية، أين «بدأت المركزية العرقية الإثنية تكتسب مظهرا أكثر عدوانية، واعتبرت السلالات الأخرى آليا سلالات أقل» (جاك غودي، 2009: 22)، وقد ترسخ هذا الاستخدام لمصطلح الإثنية كوسيلة للتمييز بين الشعوب البدائية غير الأوروبية وغير المسيحية والشعوب المتحضرة الأوروبية مع دخول العصر الاستعماري حيث حصل الربط بشكل أعمق بين الإثنية والعرقية والعنصرية (برهان غليون، 2018).

الإثنيات والعيش المشترك في القرن العشرين:

لقد شهد ماكس فيبر على الكراهية والاحتقار الشديدين للعرق الأسود وعلاقاته الجنسية مع البيض في الولايات المتحدة الأمريكية في بدايات القرن العشرين، وأكد أن السبب في ذلك يرجع إلى احتكار مفاهيم القوة والشرف الاجتماعي للبيض وارتباط العرق الأسود بالعبودية (إيان لوو، 2015: 153.154). وبالإضافة إلى ذلك فإنه حتى في مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية، كانت «العنصرية في أنحاء العالم مقبولة اجتماعيا على نطاق واسع، ومدعومة سياسيا، ومسنودة اقتصاديا، ومبررة ثقافيا، ومتغاضى عنها قانونيا» (ويل كيمليكا، 2011: 116) وهو ما أسهم بشكل كبير في تحول النظرة إلى الإثنيات من الاعتماد على الأساس السلالي إلى الاعتماد على الأساس العنصري، مع الطروحات التي تبناها الزعيم الألماني هتلر وروج لها أتباعه، حيث

عدت السلالة الآرية، بمثابة خميرة للأصل البشري، وتبعاً لذلك يشهد إيان ليو بأنه في العقود الأخيرة قامت حوادث مخزية من الإبادة الجماعية بين القبائل والجماعات البشرية وبعضها البعض، مدعومة وممولة من قبل القوى الاستعمارية السابقة، على نحو ما نجده في أبرز الأمثلة في رواندا خلال تسعينيات القرن العشرين (إيان ليو، 2015: 12).

الإثنيات والعيش المشترك في القرن الواحد والعشرين:

يعد الخطاب الفكري الحديث عن الإثنيات خطاباً عنصرياً وهو لا يزال يستند في طياته إلى كتابات الفلاسفة القدماء وعلماء اللاهوت في القرون الوسطى، ففي القارة الأوروبية على سبيل المثال «يرى الكثيرون من الطبقة العاملة أن المهاجرين غير البيض أو غير الأوروبيين بشكل عام يشكلون تهديداً لمنازلهم وأحيائهم السكنية ووظائفهم ومدارسهم وأمنهم الشخصي والعائلي. ويؤدي ذلك إلى هجوم وعنف من قبل المواطنين ضد المهاجرين، وتزايد المطالب بضرورة الطرد والاستبعاد، وتنشأ الممارسات العنصرية وموجات الكراهية بسبب أشكال مختلفة من الهيمنة سواء كانت اقصادية أو امتصاصية (استيعابية)» (إيان ليو، 2015: 13). ولا ريب أن التعددية الثقافية قد حظيت بدعاية سلبية في السنوات الأخيرة – على أقل تقدير – وقد امتدت الآن أذرع الهجمات التي شنت عليها بداية من ثمانينات القرن العشرين في بريطانيا وتسعينيات القرن العشرين في هولندا إلى جميع أنحاء أوروبا الغربية (علي راتانسي، 2013: 13). وتواجه الإثنيات في واقعنا الراهن، تحديات عظيمة، فقوى الهيمنة

الغربية تسعى جاهدة إلى جعل هذه الإثنيات أوراق ضغط، وثغرات اختراق وتدخل خدمة لأجنداتها، السياسية منها والاقتصادية وحتى الثقافية. ولذلك ينظر على نطاق واسع إلى «الصراع القائم على الهوية على أنه صعب للغاية على الإدارة. في الواقع، تمثل الإثنية «أصعب نوع من الانقسام لإدراك الديمقراطية» وبالتالي، فإن أي نجاح هنا سيكون مهماً لغرض بناء السلام وإرساء الديمقراطية. فقط مدى واقعية الهدف من هذه النتائج هو الذي محل خلاف» (Sven Gunnar, 2005: 304). ومن ثم فقد إكتسبت القضية الإثنية أهمية بالغة، في الأجندة الدولية في القرن الواحد والعشرين. وهذا ما أكدته دافيد كولاهاان David Collahan بقوله: «يحتمل أن يكون النزاع والمساعي الإثنية لتقرير المصير حول العالم، العوامل الأكثر أهمية في العقود التالية.. هذه الظاهرة لا يجب أن تترك كظاهرة منفصلة عن المشاكل العالمية الأخرى مثل الإرهاب، والدول الفاشلة والتنافس بين القوى العظمى، والوصول إلى المصادر الطبيعية والصراع بين الحديث والتقليدي أو بين الغني والفقير.» (Anthony Oberschall, 2007: 10)

وعن الآمال المعلقة عن الإثنيات والرغبة في العيش المشترك يعلق جاغديش جندارا بالقول «لقد ترك القرن الحالي ميراثاً من التعصب والكراهية، لكن الصوت المهيمن للألفية الجديدة يجب أن يكون فيما يتعلق بنظم الإنصاف في المصالحة وتعزيز المجال المدني» (Suzanne

02: 2009, Majhanovich et al)، وهو ما يؤكد كلود ليفي شتراوس بالقول بالفعل نحن نعلم أن فكرة الإنسانية، التي تشمل دون تمييز في العرق أو الحضارة، كل أشكال النوع البشري، لم تظهر سوى متأخرة جدا ولم تعرف إلا انتشارا محدودا. وحيث يبدو أنها وصلت إلى أعلى درجات تطورها، ليس مؤكدا على الإطلاق - والتاريخ القريب يثبت ذلك - أنها ترسخت بمنأى عن الالتباس والتقهقر. ولكن، كان يبدو، بالنسبة إلى قطاعات واسعة من الجنس البشري وطوال عشرات الألوف من السنين، أن هذه الفكرة كانت غائبة غيابا كليا (كلود ليفي شتراوس، 2008: 14).

الخاتمة: توصلنا في الخاتمة إلى جملة من الاستنتاجات.

إنه لما كان تحقيق العيش المشترك في ظل التنوع الإثني بالمجتمعات المعاصرة ضرورة، فإن الحاجة إلى إدارة هذا التنوع تصبح أكثر إلحاحا من ذي قبل، ويصبح مطلب الاعتراف والمشاركة أكثر من ضروري. ولذلك فمن المهم البحث عن آليات لتحقيق هذا التحول، وفي ضوء ذلك، تعد الإشارة إلى النقاط التالية ضرورية في نظرنا:

- لقد ترك القرن الحالي ميراثاً من التعصب والكراهية، لكن الصوت المهيمن للألفية الجديدة يجب أن يكون فيما يتعلق بنظم الإنصاف والمصالحة وتعزيز المجال المدني.

- إن التجربة الغربية في هذا الإطار تفيد، لحد الآن، أن القبول العام بالإثنية الثقافية يعتمد على المشاعر المرتبطة بأمن الفرد وأمن الجماعة، وعندما تضعف هذه المشاعر فلا شك أن التعددية الثقافية سوف تواجه هجوما وتراجعا شديدين.

- إن مسألة الإثنية الثقافية لا يمكن فصلها عن مصير الدولة التي أمست تخضع، رغم قوتها الظاهرة، لضغوط مزدوجة من أعلى ومن أسفل تعرضها لتحولات عميقة تهددها حتى بالتجاوز.

- إن العلاقات المجتمعية بين الجماعات المتنوعة إثنيا يمكنها، في حال الإدارة الجيدة لهذه العلاقة، أن تصبح مفتاحا للأمن والاستقرار والتنمية نتيجة للتبادلات الثقافية الديناميكية .

- في ظل ما تشهده الأنظمة العربية من صراعات وأزمات داخلية وما رافقه من تصاعد الخصوصيات الإثنية والمذهبية والدينية؛ فإنه قد حان الأوان للبحث عن صيغ للتعايش المجتمعي.

1 - الوصم (stigma): الوصم لغوياً يعني العيب ووصم الشيء عابه، ويقال في فلان وصمة أي عيب. وهو يرتبط عادة بصفة أو ميزة أو هوية تعتبر دونية، وعلى ذلك فهو يعني قلة الاحترام لشخص ما، والرفض الاجتماعي له، ومن ثم فالوصم الاجتماعي عبارة عن مواقف أو معتقدات اجتماعية سلبية، تعبر عن الازدراء للآخرين وهو شعور لا يوجد بصورة طبيعية وإنما ينشأ لدى الأفراد في المجتمعات.

المراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. إيان لوى، (2015). العنصرية والتعصب العرقي، من التمييز إلى الإبادة الجماعية، ترجمة عاطف معتمد وآخران، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
2. أحمد وهبان، (1999). الصراعات العرقية واستقرار العالم المعاصر، الإسكندرية: دار الطبعة الجديدة للنشر.
3. أنتوني جيدنز، (2005). علم الاجتماع، مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصباغ، ط4، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
4. برهان غليون، (2012). الإثنية والقبلية ومستقبل الشعوب، <http://burhanghalioun.net/?study=> نشر يوم 2012/04/23 واطلع عليه في 2018/11/26.
5. توماس ل. فريدمان، (2002). السيارة ليكساس وشجرة الزيتون - محاولة لفهم العولمة، ترجمة ليلى زيدان، ط2، القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع.
6. توماس هيلاند اريكسون، (2012). مفترق طرق الثقافات، مقالات عن الكريولية، ترجمة محيى الدين عبد الغني، ط1، القاهرة: المركز القومي للترجمة.
7. جاك غودي، (2009). سرقة التاريخ، ترجمة محمد محمود التوبة، الرياض: العبيكان للنشر.

8. جان بواريه، (1974). تاريخ العرقية، ترجمة نسيم نصر، ط1، بيروت: منشورات عويدات.
9. جان جاك روسو، (2013). أصل التفاوت بين الناس، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
10. جوردون مارشال، (2007). موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، مصر: المشروع القومي للترجمة.
11. حيدر إبراهيم علي وميلاد حنا، (2002). أزمة الأقليات في الوطن العربي، دمشق: دار الفكر.
12. سالم برقوق، (2010). «الأقليات المسلمة وأليات حمايتها». مجلة دراسات إستراتيجية، الجزائر: دار الخلدونية للنشر والتوزيع العدد 10.
13. سعد الدين إبراهيم، (1992). تأملات في مسألة الأقليات، الكويت: دار سعاد الصباح.
14. صمويل هنتغتون، (1998). صدام الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، القاهرة: دار الكتب المصرية.
15. علي راتانسي، (2013). التعددية الثقافية، مقدمة قصيرة جداً، ترجمة لبنى عماد تركي، ط1، القاهرة: مؤسسة هنداوي.
16. فيشر جيلين، (2008). العلاقات الدولية وأهمية التوافق الثقافي والحضاري للمجتمعات، ترجمة المركز الثقافي للتعريب والترجمة، القاهرة: دار الكتاب الحديث.
17. كلود ليفي شتراوس، (2008). العرق والتاريخ، ترجمة سليم حداد، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

18. محمد خليل موسى، (2000). «مفهوم الأقلية في القانون الدولي العام». مجلة الندوة، عمان، المجلد 11، العدد الأول.

19. محمد عاشور مهدي، (2002). التعددية الإثنية إدارة الصراعات واستراتيجيات التسوية، ط1، القاهرة: المركز العلمي للدراسات السياسية.

20. محمد عمارة، (2003). الإسلام والأقليات، الماضي.. الحاضر.. والمستقبل، ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

21. محمد يوسف لعلوان، (2007). القانون الدولي لحقوق الإنسان، الحقوق المحمية، ج2، ط1، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

22. هارالد مولر، (2005). تعايش الثقافات مشروع مضاد لهتنتغتون، ترجمة إبراهيم أبو هشيش، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

23. هشام محمود الأقداحي، (2011). الحركات العرقية كمصدر مهدد للاستقرار والتجانس القومي، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

24. ويل كيمليكا، (2011). أوديسا التعددية الثقافية، سبر السياسات الدولية الجديدة في التنوع، ج1، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، الكويت: عالم المعرفة.

المراجع باللغة الأجنبية:

25. Alexander J-c, (1980). **Core solidarity, Ethnic out group and social Differentiation: a multidimensional model of inclusion in modern societies** in J. dofnny e A- Akiwowo (eds.), London, National and ethnic movements, sage.

26. Anthony D smith, (1995). **National identity**, London, pen guin books.

27. Anthony Oberschall, (2007). **Conflict and Peace Building in Divided Societies: Responses to Ethnic Violence**, New York, the Taylor and Francise Library, First Publishedp.
28. Cyntia H. Enloe, (1986). **Varieties of Ethnicity, Ethnic Conflict and Political Development**, Lamham, Press University of America.
29. François Gaulme, (1997). **Question d'ethnies, politique Africaine**, N° 68, Karthala, paris.
30. Fredrik Barth (ed.), (1969). **Ethnic Groups and Boundaries**, Little Brown. Boston.
31. James Ryan, (1999). **Race and Ethnicity in Multi-ethnic Schools: A Critical Case Study**, Published by Multilingual Matters.
32. Mona Chettri, (2014). **Interpreting Democracy: Ethnic Politics And Democracy in the eastern Himalaya**, *Studies in Nepali History and Society* 19(2): December.
33. Suzanne Majhanovich et al, (2009). **Living Together**, Education and Intercultural Dialogue, USA, Springer.
34. Sven Gunnar Simonsen, (2005). **Addressing Ethnic Divisions in Post-Conflict Institution-Building: Lessons from Recent Cases**, *Security Dialogue* vol. 36, no. 3, September.